عتاب واستصراخ

خليل مطران

{ من قصيدة طويلة قيلت في الحرب الاولى بين الترك
والطليان حين حاول هؤلاء فتح طرابلس سنة ١٩١١ }

صدقتُ في عتبكم او يصدق الشمم ... لا المجد دعوى ولا آياته كلم
يا أمتي حسبنا بالله سخرية ... منا وما تقاضى اهلها النقم
هل مثلنا تتباكى عندنا حزن ... وهل كما نتشاكى عندنا ألم
ان كان من مجدٍ فينا تفجعنا ... فليكفنا ذلنا وليشفنا السقم
تمتعوا وتعلوا ما يطيب لكم ... ولا تزعكم معاذيرٌ ولا حُرَم
او اعملوا مرةً في الدهر صالحة ... مما تؤيده الافعال والهمم
بأيّ جهل غدونا امة هملاً ... وأيّ عقلٍ تولت رعينا الامم

* * *

لا تُنكروا عذلي هذا فعذرني ... جرح بقلبيَ دامٍ ليس يلتئم
نحن الذين أعنا الراصدين لنا ... حتى به كانت العقبان تعتصم
لولا تغافلنا لولا تخاذلنا ... لولا تواكلنا تالله ما اقتحموا
هي الحقيقة عن نصح صدعتُ بها ... وما النصيحة الا البرّ والرحم
لم أبغ من ذكرها ان تيأسوا جزعاً ... خيرٌ من اليأس ان يُستقدم العدم
اليأس مهلكة للقوم موبقة ... في حالة تتلاشى عندها الشيم
ما مطلب الفخر من أيدٍ منعمة ... رطيبةٍ وقرصٍ ليس تختدم
بأس الجماعات داء ان تملكها ... فهو التحلل يتلوه الردى العمم
كالشمس يأكل منها ظل سُدفتها ... متى يبيد شعاع الشمس والضرم
لا تقنطوا كرِه الله الالى قنطوا ... اليوم يعتزم الأبرار فاعتزموا
اليوم ان تبخلوا اعماركم سفهٌ ... والجاه فقرٌ ومقصوراتكم رُجُم

* * *

إني لأسمع من (حزب الحياة) بكم ... « نصراً لامتنا سحقاً لمن ظلموا »
نعم لتُنصر على الباغين أمتنا ... لا بالدعاء ولكن نصرها بكم
لتبق يقظى على الادهار نابهة ... لا الأمن يهفو بها سكرى ولا النعم
لتحيَ وليمتُ الموت المحيط بها ... من حيث يدفعهُ أعداؤنا الغشم